# كلمة وفاء للمرحوم الدكتور بوعلام بلقاسمي

بقلم: الأستاذ الدكتور محمد بن معمر، جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة

أستاذ التاريخ الإسلامي، جامعة السلطان قابوس سابقا، سلطنة عمان

وفاء للمرحوم الدكتور بوعلام بلقاسمي وتكريما له، ارتأت الهيئة العلمية المشرفة على مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا بجامعة تيارت أن تجعل عددها الأول أعمالا مهداة لروح الفقيد، وهي مشكورة على ذلك. وقد سرّني كثيرا حين طلب منّي الإخوة أعضاء الهيئة تقديم كلمة بهذه المناسبة التكريمية، نظرا للعلاقة التي كانت تربطني بالمرحوم، وهذا لا شك من صميم التقاليد الأكاديمية التي تعارفت عليها المؤسسات الجامعية والهيئات العلمية في مختلف دول العالم.

إنّ رحيل المغفور له بإذنه تعالى الدكتور بوعلام بلقاسمي إلى الدار الآخرة كان رزية عظمى وخسارة فادحة لنا ولكل من عرفه، وللجامعة الجزائرية والبحث العلمي. ولكن تلك هي سنن الحياة فكل إنسان مهما طالت سلامته فهو على آلة حدباء محمول، وهذا وعد من الله عز وجل القائل: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ آل عمران/185.

عاش المرحوم بوعلام أربع مراحل أساسية من حياته: طفولة ودراسة بمدينة وهران (1955-1977)، ثم دراسة وبحث في جامعة East-Anglia ببريطانيا (1977-1984)، ثم تدريس وبحث وتأليف بعد العودة إلى وهران (1985-2013)، وأخيرا مرحلة التقاعد في الجزائر والالتحاق بجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان (2013-2017)، وخلال مختلف هذه المراحل برزت سمات شخصيته الأساسية، فهو الأستاذ الباحث الفذ، والمسيّر المقتدر، وفوق هذا وذاك فهو الإنسان المتميز.

وتعتبر المرحلة الثالثة من حياته أطول هذه المراحل وأوفرها عطاء وإنتاجا، وأكثرها خصوبة، ففيها مارس التدريس في طوري التدرج وما بعد التدرج، وأشرف على عديد رسائل الماجستير والدكتوراه، وكتب وألّف، وشارك في عديد الملتقيات الوطنية والدولية، وتولّى المسؤوليات الإدارية والعلمية، ونسج علاقاته العلمية والإنسانية، وخدم المجتمع، وقد أدّى ذلك بكل إخلاص ودون كلل ولا ملل.

وخلال تجربته العامة في التدريس أسندت إليه عدة مقررات منها: تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، وتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وتاريخ العالم العربي المعاصر، وتاريخ الاستعمار الأوربي في العالم العربي وافريقيا، وتاريخ الدولة العثمانية في شمال افريقيا، وتاريخ العلاقات الدولية في البحر المتوسط، والمصادر الأوربية للتاريخ العربي، وتاريخ العلاقات بين افريقيا والعالم العربي، والمنهجية، وغيرها من المقررات. وإلى جانب أعبائه البيداغوجية حمل على عاتقه مسؤولية الإشراف على الكثير من رسائل

الماجستير والدكتوراه، وتأطير أصحابها تأطيرا علميا جادا أهّلهم للتدريس والبحث في أقسام التاريخ بمختلف الجامعات الجزائرية.

وإلى جانب اللغة العربية كان المرحوم يجيد العديد من اللغات الأجنبية مثل الفرنسية والإنجليزية قراءة وتحدثا وكتابة، وهو ما ساعده في البحث العلمي الرصين، فقد نشر العديد من المقالات الجادة في المجلات العلمية المحكّمة داخل الجزائر وخارجها. وكان من المؤسسين والمشرفين والمحكّمين للعديد من المجلات العلمية مثل مجلة عصور، ومجلة المصادر، وحوليات المؤرخ، ومجلة كلية الآداب بجامعة السلطان قابوس، وكتب وألّف وترجم من الفرنسية إلى العربية والعكس، ومن مؤلفاته: الأرشيف الجزائري المحفوظ في بريطانيا، وموسوعة أعلام الجزائر، والرأسمالية: الاستعمار والمقاومة، والجزائر وفرنسا الأطلس التاريخي، والسياسات الاستعمارية العقارية في الجزائر، وتاريخ الثورات الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي، وغيرها.

وللمرحوم مداخلات قيّمة شارك بها في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية الوطنية والدولية داخل الجزائر وخارجها، كما أشرف وشارك في تنظيم الكثير من الملتقيات الوطنية والدولية. وكانت مساهمته متميّزة في إعداد القرص المضغوط حول تاريخ الجزائر المعاصر بالمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، خاصّة النسخة الانجليزية، وعند انطلاق عملية تأسيس المخابر بالجامعة الجزائرية كان من السبّاقين إلى تأسيس مخبر مصادر وتراجم بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران سنة 2000م.

أما عن الخبرات الأكاديمية والإدارية فهي متنوعة، فقد تقلّد المرحوم عديد الوظائف، وشغل عضوية الكثير من اللجان العلمية الوطنية منها:

- رئيس المجلس العلمي لكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران.
- عميد كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران.
- رئيس المجلس العلمي للمركز الوطني للبحوث والدراسات التاريخية الجزائر.
- مدير المتحف التاريخي "المجاهد" لمدينة وهران.
- مدير معهد التاريخ جامعة وهران.
- رئيس شعبة التاريخ جامعة وهران.
- عضو اللجنة العليا لإصلاح التعليم العالي بالجزائر.
- عضو اللجنة الوطنية العليا لتأهيل الدراسات العليا بالجامعات الجزائرية.
- عضو اللجنة المغربية لجودة التعليم العالي.

- عضو لجنة ترقية الأساتذة المحاضرين إلى رتبة أستاذ التعليم العالي.

وغيرها من المهام التي نجح المرحوم في القيام بها على أحسن وجه، ولا غرابة في ذلك، فقد كان المرحوم من الشخصيات الموهوبة التي تمتلك روح القيادة والمبادرة، فضلا عن المهارات والفنيات المختلفة التي يتطلبها التسيير العلمي والإداري.

استطاع المرحوم بفضل قدراته العلمية ومهاراته الفنية أن ينسج شبكة من العلاقات مع مجموعة كبيرة من الأفراد والمؤسسات داخل الوطن وخارجه، خدم بها غيره قبل نفسه، أما داخل الوطن فتشهد بذلك عضويته في عديد اللجان العلمية والإدارية والبيداغوجية، وتولّيه وظائف مختلفة، وأما خارج الوطن فمنها مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات في تونس، ودارة الملك عبد العزيز بالرياض الذي كان منسقها في عقد المؤتمر الخليجي المغاربي الخامس بتلمسان سنة 2011م، ومؤسسة ارتياد الآفاق بأبو ظبي الذي كان منسقها في عقد ندوتها بالجزائر سنة 2005م، كما كان عضوا في اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة وغيرها من العلاقات.

ولم يكن نشاط المرحوم مقتصرا على الجامعة بل كان منفتحا على المجتمع ومهتما بقضاياه، فلم يكن يتأخر عن حضور المناسبات الوطنية والدينية والفعاليات الاجتماعية والثقافية، كما كان مهتما بالنشاط الإعلامي فقد شارك في برامج تلفزيونية كثيرة مثل السلسلة الوثائقية حول تاريخ العرب الحديث والمعاصر من انتاج القناة الجزائرية الأولى، والسلسلة الوثائقية حول شخصيات جزائرية من انتاج القناة نفسها، وحصة حول الأمير عبد القادر من انتاج القناة الفرنسية الثانية، والملف التاريخي حول زمن بورقيبة من انتاج قناة العربية، والشريط الوثائقي حول مدينة وهران والبحر من انتاج القناة الجزائرية الثالثة. وكان مستشارا تاريخيا لحصة موعد مع التاريخ من انتاج إذاعة وهران، وشارك في عديد الحصص الخاصة بالتاريخ التي أنتجتها الإذاعة الثقافية الجزائرية، ونشر العديد من المقالات التاريخية في الصحف المحلية والوطنية بالعربية والفرنسية مثل مجلة الجيش، والجمهورية، والأحرار، والشعب، والوصل، واليوم، والجزائر الأحداث وغيرها.

وبعد الجهود والأعمال الجبارة التي قام بها المرحوم في الجزائر، والتي أخذت منه طاقة أكبر ووقتا أطول وانتهت بالتقاعد المبكر، خاض تجربة أخرى خارج الوطن وأعني بذلك التعاقد مع جامعة السلطان قابوس في سلطنة عمان، وكانت تلك التجربة آخر محطة في حياته. وقد أخبرني رحمه الله عن سبب التحاقه بهذه الجامعة التي لم تكن لديه صورة مسبقة عنها، إذ كانت مناسبة انعقاد المؤتمر الدولي حول الدور العماني في شرق إفريقيا من تنظيم الجامعة المذكورة في ديسمبر 2012م سببا في ذلك، فقد كان ثاني المتدخلين في هذا المؤتمر، بعد المحاضرة الافتتاحية، فنالت محاضرته إعجاب الحاضرين وعلى رأسهم رئيس الجامعة وعميد الكلية الذي عرض عليه فكرة التعاقد وطلب منه التفكير، وإثر عودته من المؤتمر

أخذ يفكّر في الموضوع، وبعد اقتناعه باشر بالإجراءات المطلوبة، ولما أكملها شرع في العمل بقسم التاريخ ابتداء من سبتمبر 2013م.

وخلال سنته الأولى هناك اندمج بسرعة في نسيج الجامعة والمجتمع العماني، وأسندت إليه مهمة تطوير الدراسات العليا بالقسم، وشارك في عدة لجان علمية وإدارية بنجاح مستغلا خبرته الطويلة وكفاءته في التسيير. وقد شجّعني رحمه الله وأقنعني بخوض التجربة معه، فاستجبت لعرضه وطلبت الإحالة على الاستيداع والتحقت به في قسم التاريخ بصفتي أستاذا زائرا لمدة سنتين (2014-2016).

رغم معرفتي بالمرحوم بوعلام وصلتي الوثيقة به منذ فترة طويلة إلاّ أنّ المدّة التي قضيتها معه في سلطنة عمان زادت تلك العلاقة قربا ومتانة، فكنا نتقاسم المكتب نفسه ونسكن في الحيّ ذاته داخل الجامعة، ونتسوّق معا، ونحضر التظاهرات العلمية والثقافية سويّا، ونجلس لساعات طويلة نتجاذب أطراف الحديث في مختلف القضايا، وسافرنا إلى مناطق كثيرة من سلطنة عمان، وكثيرا ما كان يعبّر عن سعادته وراحته النفسية وحبّه للمجتمع العماني. وعلى العموم فقد قضينا أياما جميلة وجمعتنا ذكريات لا تُنسى، ولكن أَحبِبْ من شئت فإنّك مفارقه، تلك هي سنن الحياة، ولكل أجل كتاب.

رحم الله الفقيد بوعلام وغفر له وأحسن إليه وألحقنا به مسلمين مؤمنين غير مبدّلين، وشكرا مرّة أخرى لهيئة المجلة على هذا التكريم لروح الفقيد وعلى إتاحة الفرصة لكتابة هذه الكلمة.